**المحاضرة الثامنة: تحليل الخطاب: ضبط مفهومي النص والخطاب**

**عناصر المحاضرة:**

1-النصّ؛ المفهوم وآليات التشكّل

2-مفهوم الخطاب وأهم مقوّماته

3-تحليل الخطاب: المجال والإجراء

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**1-النصّ؛ المفهوم وآليات التشكّل**

جاء في لسان العرب؛ النص رفعكَ الشيء، نصَ الحديث ينصّه نصا: رفعه، وكلّ ما أُظهر فقد نُصَّ، ووضع على المنصة: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، وقال الأزهريّ: النص هو منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيتُ مسألته عن الشيء، حين تستخرج كلّ ما عنده، وفي حديث "هرقل": ينصّهم أي يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنّة: أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، وانتصّ الشيء وانتصب إذا استوى واستقام[[1]](#footnote-2).

وقد جاء في معنى مادة (نص) في المعجم الإنجليزي، ما بيانه؛

-النص: الجمل والكلمات نفسها المكتوبة، الكتاب أو المخطوطة أو النسخة

-النص: البنية التي تشكّلها الكلمات وفق ترتيبها.

-النص:مضمون البحث حول موضوع ما

-النص: الجمل والكلمات نفسها من الإنجيل

-النص: قطعة قصيرة من الأناجيل يستشهد بها المرء كمصدر موثوق،

-النص: عملية أو فنّ النسج (الحبك)، إنتاج نسيج محبوك.

-النص: تركيب أو بنية مادة أي شيء مع مراعاة عناصره التشكيلية المكوّنة.

-النص: في الفنون الجميلة تمثيل البنية وتحوير دقيق للسطح.

-أما النصيّة فهي التمسّك التام بالنص خاصة الأناجيل[[2]](#footnote-3).

النص كيان متداخل المستويات، يصعب الإمساك بمفهومه والحسم في شأن ماهيته، تتقاذفه مجموعة من الحقول المعرفيّة، فهو مفهوم إشكالي، لأنّ طابعه المتغيّر والتشكّلات التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمّة صعبة، وبوصفه سيرورة تواصلية فإنّ العديد من أنماط التواصل تتنازع حوله وتحاول أن تجرّه إلى حقلها.

- بما أنّ النص هو منتوج لغوي من الدرجة الأولى، فإنّ تحديد مفهومه رهين بفحص مكوّناته اللغويّة وهنا يطرح "فان دايك" فكرة النص باعتباره متتالية من الجمل، وهذا راجع لتأثّره بالطرق الإجرائية التي اقترحها النحو التوليدي، حيث يقول: "إنّ النص باعتباره نظرية اللسانيات فإنّنا نعتبره متتالية من الجمل بالدرجة الأولى"، وهذا التعريف بالغ التجريد وهو لا يفرّق بين النص والجملة، ولكن عن طريق مفهوم الانسجام يمكن ربط هذه الجمل وإعطائها شكل النص .

يعتبر "فان دايك" المؤسّس الحقيقي لعلم النص، إذ إنّه استطاع أن يخرج من دائرة التأمّل الفلسفي والتطبيقات الفجّة إلى التجريب العلمي، وقد اعتمد على اللسانيات البنيوية، وتحديدا على النحو التوليدي، مصبّا اهتمامه على علم قديم مهجور هو البلاغة التي اتّخذ منها نموذجا لبناء علم النص، ينطلق في ذلك من حذر كبير، فهو يعتبر أنّ النحو التوليدي ليس مكتملا وضروريا بالرغم من تبنيه للنموذج المعياري عند تشومسكي، ومع ذلك يرى أن النحو التوليدي بعد إدخال بعض التعديلات عليه يمكن آنذاك أن يفيد في إعادة كتابة الجمل المكوّنة للنص، ولهذا هجر تشومسكي النحو التوليدي إلى النموذج البلاغي.

هذا الوضع جعل علم النصّ يتكئ بصفة خاصة على اللسانيات، ومن هذه الزاوية فإنّ علم النصّ يقترب من الميدان الذي كان مخصّصا للبلاغة، بحيث يرى العلماء بأنّه الممثل الحديث لها، فاندماج الخطاب البلاغي الجديد في علم النص يتيح له تشكيل منظومة من الإجراءات المنهجية القابلة للتطبيق على المستوى التداولي.

ويقرر "فان دايك" ذلك صراحة عندما يقول: " إنّ علم النص هو عرض حديث للبلاغة"، وذلك لكون البلاغة تملك جهازا نقديا بإمكانه تناول النصوص الأدبية المختلفة، من خلال حصرها وتحديدها لكلّ المقولات الأدبيّة وتحديد خصائصها الشكليّة ووظائفها[[3]](#footnote-4).

-يرى "محمّد مفتاح" أنّ: " أهمّ ضابط للنص هو الانسجام la cohérence ، وهو يضمّ عدّة عناصر، وفي هذا المفهوم خلاف ويمكن أن نتكلّم عن مفهوم الاتساق ومفهوم التنضيد، فمفهوم التنضيد هو المرحلة الأولى أي العلاقة بين الجمل، ارتباط الكلام ببعضه البعض وتراصه، أما الاتساق فيقصد به العلاقة المعنوية بين الجمل، ومفهوم الانسجام هو أعمّ، انسجام النص مع العالم الواقعي، إذ إنّ كلّ نص هو كلّ متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة.

يقترب مفهوم التنضيد الذي استعان به محمد مفتاح لتحديد كيفيات تشكّل النصّ من مفهوم " التماسك" la cohésion الذي استعان به "فان دايك" لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية السطحيّة (أو البنية الصغرى) بينما ترك مصطلح الانسجام للمستوى العميق من النص.

وبما أنّ الانسجام عند فان دايك يتعلّق بالمعنى العميق للنصّ، أي بدلالته، فإنّ متتاليات الجمل تحيل إلى عالم ممكن، عالم يمكن أن يكون تاريخيا أو حلميا والذي يكون غالبا زائلا، لأنّه يرتبط بزمان معيّن، وحالة مخصوصة، وهذا العالم الممكن هو الذي يضمن الانسجام الخطي للنص، أي أنّ التركيز على متخيّل النص هو الذي يضمن انسجامه[[4]](#footnote-5).

**2-مفهوم الخطاب وأهم مقوّماته:**

جاء في المعجم الوسيط؛ (خاطبه) مخاطبة وخطابا: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجّه إليه كلاما[[5]](#footnote-6).

في المعاجم الفرنسية الخطاب يعني الحديث، خاطب وخطاب يعني حادث وحاضر أي ألقى محاضرة.

وقد جاء في معجم أكسفورد الموجز للغة الإنجليزية؛

-الخطاب؛ عملية الفهم التي تمرّ بنا من المقدّمة حتى النتيجة اللاحقة

-الخطاب؛ الاتصال عبر الكلام أو المحادثة، القدرة على المناقشة

-الخطاب؛ تناول أو معالجة مكتوبة أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو أطروحة أو موعظة

-الخطاب؛ الاتصال المألوف أو المحادثة.

الخطاب؛ أن يتكلّم أو يكتب بشكل مطوّل عن موضوع ما.

-الخطاب؛ أن يدخل في نقاش منطوق أو مكتوب، أن يخبر، أن ينطق

-الخطاب؛ أن يتحدّث مع، أن يناقش مسألة مع، أن يخاطب شخصا ما

-الخطاب؛ المخاطب هو الذي يخاطب، المخاطب هو الذي يفكّر

-الخطاب؛ عملية أو قدرة أو مقدرة التفكير على التوالي منطقيا، عملية الانتقال من حكم لآخر بتتابع منطقي[[6]](#footnote-7).

يبدو أنّ مفهوم الخطاب قد ناله التعدّد والتنوّع كذلك، وذلك بتأثير التوجّه الذي اتّخذه كلّ باحث في تعريفه، لهذا فهو يطلق إجمالا على أحد المفهومين التاليين؛

-الخطاب؛ هو الشّكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، وهنا تتجّه عناية الباحث إلى عناصر انسجامه وترابطه، وتركيبه، ومعرفة علاقة وحداته ببعضها البعض، بل ومناسبة بعضها للآخر، وذلك على مستوى بنيته المنجزة.

-الخطاب؛ هو ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير، بإفهامه قصدا معيّنا: وهذا تعريف الاتّجاه الوظيفي الذي نظر إلى الخطاب بوصفه استعمال للغة، وذلك يتجاوز وصف الخطاب وصفا شكليا، وعدم الوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها البعض وتحليلها، والدعوة إلى ضرورة العناية بدور عناصر السياق، ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب، وفي تأويله، مثل دور العلاقة بين طرفي الخطاب ودرجاتهم الاجتماعية وطرقهم المعتادة في إنتاج خطاباتهم، والخطاب بهذا المفهوم يلقي الضوء على كيفية تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع المرسل من خلالها أن يعبّر عن مقاصده ويحقّق ألفاظه، مما يبرز العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها.

ويستوي الخطاب بشقيه المكتوب والمنطوق، كما يستوي المرسل إليه الحاضر أو المستحضر، فلا يقتصر توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر عيانا وإنّما يتجاوز توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر في الذهن.

وهناك عدد من العناصر التي تتشار في بلورة عملية التواصل في الخطاب، ويمكن معرفتها وفحصها من خلال النظر إلى الخطاب ذاته، بوصفه الميدان الذي تتبلور فيه هذه العناصر، مما يحيلها إلى عناصر سياقيّة، هي:

المرسل،

المرسل إليه،

العناصر المشتركة: كالمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية، ومعيار العلاقة بين طرفي الخطاب[[7]](#footnote-8).

**3-تحليل الخطاب: المجال والإجراء**

لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة، ويوجد تحديد واسع جدا هو "تحليل استعمال اللغة"، كما أنّ هناك تعريف آخر وهو " دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية"، وهماك من ينظر إلى تحليل الخطاب وتحليل الحديث وكأنّهما شيء واحد، لكونهم يعدون الخطاب نشاطا تفاعليا أساسا، غير أنّه مع هذه التحديدات الغامضة، يصعب التمييز بين تحليل الخطاب والتخصصات الأخرى التي تدرس الخطاب، لذا ترى أنّه من المستحسن اعتبار تحليل الخطاب التخصص الذي بدل أن يقدم على التحليل اللغوي للنص في ذاته أو على التحليل السوسيولوجي أو النفسي لمحتواه، يسعى إلى مفصلة تلفظه مع موقع اجتماعي معيّن، وهكذا يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي، أو في الحقول الخطابية.

إذن بإمكان تحليل الخطاب أن يُعنى بنفس المدوّنات على غرار علم الاجتماع وتحليل الحديث وغيرها، ولكن تحليل الخطاب باستناده إلى هذه التخصصات المجاورة يتبنى وجهة نظر مختلفة، فدراسة استشارة طبيّة مثلا تفضي إلى الاحتفال بقواعد الحوار (موضوع تحليل الحديث) والتنوعات اللغوية (موضوع علم الاجتماع اللغوي) وأساليب المحاجة (موضوع البلاغة)، غير أنّ هذه الإسهامات مدمجة من قبل محلّل الخطاب.

ولما كان تحليل الخطاب يقف في مفترق طرق العلوم الإنسانية، فهو عرضة لعدم الاستقرار التام، ذلك أنّ يوجد محللون للخطاب هم بالأحرى علماء اجتماع وآخرون لسانيون، والبعض الآخر نفسانيون، .. بالإضافة إلى ذلك هناك خلافات بين تيارات متعددة، وهكذا نجد أنّ تحليل الخطاب في الولايات المتحدة موسوم بالأنثروبولوجيا، في حين تنامى في فرنسا في الستينات بتوجّه لساني بيّن[[8]](#footnote-9).

1. -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مادة نص). [↑](#footnote-ref-2)
2. قدوسي نور الدين، محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، ص22 .- [↑](#footnote-ref-3)
3. -حسين خمري، نظرية النص، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2007، ص22-23. [↑](#footnote-ref-4)
4. -حسين خمري، نظرية النص، ص50-55. [↑](#footnote-ref-5)
5. -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مطبعة مصر، ج1، 1960، مادة (خطب) [↑](#footnote-ref-6)
6. -قدوسي نور الدين، محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص40 [↑](#footnote-ref-7)
7. -الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ط1، بنغازي، ليبيا، 2003، ص35-40. [↑](#footnote-ref-8)
8. -دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف،ط1، الجزائر، 2008، ص10-11. [↑](#footnote-ref-9)